مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

دور منطقة متليلي في الحركة الوطنية الجزائرية والتحضير للعمل المسلح ما بين 1938 -1954

The Role Of Metlili Region In The Algerian National Preparation For Armed Action In Movement And The Ghardaia District Between 1938-1954.

بكار الدهمة[1] ، صالح بوسليم [2]
1 -جامعة غرداية، dahmaa01@gmail.com
2 -جامعة غرداية، salah_ghar@hotmail.fr

تاريخ الاستلام:2019-10-08 تاريخ القبول: 2020-05-05

الملخص-

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على مساهمة منطقة متليلي في الحركة الوطنية الجزائرية والتحضير للعمل المسلح ما بين 1938 - 1954؛ أي خلال الفترة الزمنية الممتدة من عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية إلى غاية اندلاع ثورة أول نوفمبر1954، مبرزة كيف تفاعل سكان هذه المنطقة متأثّرين ومؤثّرين في المقاومة السياسية التي قادها الجزائريون ضد الاحتلال الفرنسي أثناء هذه الفترة.

أما الإشكالية التي حاولنا الإجابة عليها من خلال هذه الورقة البحثية فتمكن في الاتي : ما هو دور منطقة متليلي في الحركة الوطنية الجزائرية والتحضير للعمل المسلح خلال الفترة الممتدة ما بين 1938م - 1954م؟

الكلمات المفتاحية-

متليلي؛ وادي ميزاب؛ الحركة الثورية في متليلي؛ غرداية؛ الشعانبة؛ العمل المسلح.

المؤلف المرسل: بوسليم صالح: salah_ghar@hotmail.fr

Abstract-

The Aim Of This Paper Is To Highlight The Role And Contribution Of Metlili Region In The Algerian National Movement And The Preparation Of
Armed Action In Ghardaia District Between 1938-1954; Namely During The Period From The Eve Of The Outbreak Of World War II To The Outbreak Of
The Algerian Revolution Of The 1st Of November 1954, Highlighting How The Inhabitants Of This Region Interacted And Influenced The Political Resistance Led By The Algerians Against The French Occupation During This
Period.

The Question We Tried To Answer Throughout This Paper Is: What Is The
Role Of Metlili Region In The Algerian National Movement And The Preparation For Armed Action During The Period 1938 - 1954?

Key Words-

Metlili, Wadi Mezab, Revolutionary Movement In Metlili,
Ghardaia, Shaamba, Armed Actio.

- **تقديم:**

إن المتصفح للدراسات المونوغرافية حول مدينة متليلي، يضطلع بنتيجة مفادها هو أن تلك الدراسات تكاد تقتصر حول فترة نشاط الثورة التحريرية على حساب فترة نشاط الحركة الوطنية بالمنطقة .

ومن المواضيع الجديرة بالبحث والدراسة، تلك المتعلقة بتاريخ الحركة الوطنية في منطقة متليلي في الفترة ما بين 1938 –1954، حيث استطاعت هذه المنطقة أن تسهم في نمو الوعي الوطني في أوساط السكان، وأن تشكّل إحدى المراكز الطلائعية في مجال النضال السياسي على مستوى الجنوب الجزائري، كيف لا وهي التي شكّلت أحد أهم قلاع المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

1 - جذور الحركة الوطنية في مدينة متليلي:

تعود جذور الحركة الوطنية في مدينة متليلي إلى مرحلة الثورات الشعبية التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، والتي انخرط فيها العديد من ثوار المنطقة، عندما وصلت أصداؤها إلى تخوم الصحراء، وكانت أول مقاومة شعبية انخرط فيها أبناء الشعانبة، هي مقاومة الشريف محمد بن عبد الله 1851 -1861[1]، وثورة محمد التومي بوشوشة1869 -1875[2]،وثورة الشيخ بوعمامة[3]1881 -1904م، كما استجاب المسجد العتيق بمتليلي لنداء الثوار وحث سكانها للانضمام لتلك الثورات الشعبية؛ بدءا من ثورة الشريف محمد

1 - ولد بنواحي عين تموشنت، رحل إلى الحج واتصل هناك بمحمد علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية، واقتنع بضرورة محاربة الاستعمار الفرنسي، رجع بعد ذلك إلى أرض الوطن واستقر بالرويسات بورقلة، وأعلن الجهاد وصار أميرا على الصحراء، والتفت حوله قبائل المنطقة من الشعانبة، والمخادمة في ثورته التي انتهت بسبب دخوله في صراعات محلية. هاجر في الأخير إلى تونس، وتوفي هناك بزاوية نفطة سنة 1895. ينظر: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1982، ج1، ص ص 372 -378.

2 - ولد بنواحي جبال العمور بالغيشة، وتشبع منذ صغره بروح الوطنية والمقاومة لما كان يراه يوميا من معاناة للشعب الجزائري جراء الاستعمار، توغل في الصحراء بعد إطلاق سراحه من السجن، وتزعم الثورة بمنطقة الشبكة في شكل حرب عصابات بمساعدة الشعانبة والمخادمة، قبض عليه وأعدم بقسنطينة سنة 1875م.ينظر: لخضر عواريب: بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية منها الشهادة التي أملاها بوشوشة على سجانه، في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، العدد 17، ديسمبر 2014، ص ص 295 -304.

3 - هو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن إبراهيم بن التاج المشهور بأبي عمامة، ولد سنة 1838م أو 1840، من عائلة أولاد سيدي الشيخ، أصبح شيخ الطريقة الشيخية؛ ذاع صيته وانتشرت طريقته بفضل خصاله الحميدة، تزعم الثورة ضد فرنسا في الجنوب الغربي لمدة ربع قرن تقريبا، وقد شارك في هذه الثورة سكان متليلي الشعانبة بقوة، مما دفع بالسلطات الفرنسية تشعر بالقلق من الدعم الذي يلقاه كل ثائر بالمنطقة.
إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 -1934، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005م، ص272. الشيخ لكحل: مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين 1851 -1908م، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي – غرداية – الجزائر 2019، ص 239.

بن عبد الله، وانتفاضة سليمان بن حمزة1864 -1867م[4] ضد الاستعمار الفرنسي. كما قام مشايخ المسجد العتيق بمتليلي[5] بحشد المتطوعين لدعم الثائر التومي محمد المدعو بوشوشة، وإقرار مساندة الشيخ بوعمامة في مقاومته؛ بعد أن طلب الدعم والمساعدة من سكان متليلي من خلال رسالته المؤرخة في 28 جمادى الثانية 1298هـ/ 28مايو 1881، فأسرع الشعانبة لتلبية طلبه، تحت قيادة مولاي إبراهيم قدور بن عمار[6]، كما ساهم المسجد العتيق بمتليلي في نشاط الحركة الوطنية بالمنطقة؛ قبيل اندلاع الثورة التحريرية و دعّمها ماديا وبشريا من بخيرة تلامذته، ولهذا يعتبر المسجد العتيق بمتليلي قلعة من قلاع الثوار بالمنطقة[7].

2 - معاهدة الحماية 22 أفريل1853م:

بعد استيلاء فرنسا على قصر الأغواط في 04 ديسمبر1852 ، سعت بعد ذلك للتوغل نحو منطقة وادي ميزاب ، وحينها كان أتباع المذهب الإباضي في منطقة وادي ميزاب يتمتعون بنوع من الاستقلال، الأمر الذي حفظ كيانهم الداخلي من التفكك والقمع الاستعماري، وذلك بفضل معاهدة الحماية المبرمة بين الوفد الميزابي والقائد الفرنسي دوبراي (Dubarail) في الأغواط؛ باسم الوالي

4 - تحصّل على رتبة باشا آغا بعد وفاة سي بوبكر، وهو من عائلة سيدي الشيخ المحافظة، أعلن الثورة ضد فرنسا سنة 1864 م هذه الثورة التي امتدت لنواحي متليلي والشبكة النومرات، استشهد في معركة شرق مدينة البيض بتاريخ 08 أفريل 1864م، لكن انتفاضته المسلحة بقيت مستمرة إلى غاية 1867 م ينظر، يحيى بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996م، ج1، ص183.

5 - أقدم مسجد في متليلي ، تم بناؤه في القرن 06 هـ/11م، ويعتبر مركزه ومنارة الإشعاع العلمي في المدينة وما جاورها، كانت تعقد به حلقات العلم بكل فروعه في الفقه المالكي، بالإضافة إلى علم الحديث والتفسير. كما أدى دورا مهما في تاريخ المقاومة والجهاد، حيث كان قلعة الثوار؛ يمد الثورات بالمتطوعين للجهاد ضد الاحتلال الفرنسي.

6 - من أعيان مدينة متليلي الشعانبة، ومن العائلات الشريفة (الأشراف)، كان ضمن مجلس الأعيان في القصر القديم بمتليلي.

7 - محمد مولاي إبراهيم، وثيقة مخطوطة في مكتبته الخاصة بمدينة متليلي الشعانبة، ولاية غرداية.

العام للجزائر راندون(Randon) بتاريخ 29 أفريل 1853م/13 رجب 1269هـ[8]. كما فتحت هذه المعاهدة النار في وجه باقي سكان المنطقة، ورفضوا الاتفاق المبرم (المعاهدة) واعتبروه حلا مؤقتا يضمن الحقوق لفئة معيّنة من السكان، مما جعل الطرف الآخر في حالة من الترقب والاستنفار المستمر، وانتهى الأمر بإعلان حالة التمرد العام من طرف سكان متليلي على سلطة الاحتلال وحمل السلاح في وجهها عن طريق المشاركة في أغلب الثورات الشعبية المناهضة للاحتلال.

3 - مظاهر نشاط الحركة الوطنية في متليلي:

تجدّد النشاط الوطني في المنطقة ضد الاحتلال في صيغة النضال السياسي والعمل الاصلاحي، وخاصة بعد الاحتفالات المئوية الاستعمارية المخلدة للاحتلال، والتي نظمتها الادارة الفرنسية سنة 1930 في الجزائر العاصمة، وما نتج عنها من استفزاز للروح الوطنية لدى الجزائريين، حيث قام العلماء بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتاريخ 05 ماي 1931م؛ بزعامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس للدفاع عن الهوية المسلوبة وتقويم الانحرافات الفكرية ومحاربة البدع التي عمل الاستعمار على نشرها عن طريق سياسة التجهيل المعتمدة.

ويعتبر نشاط الحركة الوطنية في متليلي؛ بمثابة العامل الأساسي والمشجّع في دفع حركة الوعي الوطني إلى باقي الجهات الجنوبية، إذ امتزجت الحركة السياسية بالنشاط الاصلاحي في مشروع التصدي ومجابهة المحتل؛ وضمّ ذلك الرعيل الأول من الوطنيين في متليلي كلا من المناضل سي المصطفى[9]، وهو من

8 - بكار الدهمة: دور منطقة غرداية في الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية ما بين1919 -1945م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف د/ مولاي عبد القادر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2012، ص 26. فتيحة يطو: رسالة الرد على إلحاق وادي ميزاب والاعتراض على تعديل قانون الملكية العقارية بالجزائر للشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش -دراسة وتحقيق،رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف د/ فيصل محمد موسى، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة النيلين بالسودان2006م، ص 39.

9 - من مواليد مدينة متليلي؛ من عائلة محافظة (المرابطين)، يعتبر من المناضلين الأوائل الذين تأثروا بالاتجاه الثوري الاستقلالي في الجزائر، حيث أسس مع رفاقه أول خلية تابعة

رواد الحركة الوطنية ومسؤولي حزب الشعب الجزائري (P.P.A) بمتليلي منذ سنة 1938، بالإضافة إلى أعضاء المجموعة، نذكر منهم: الوذان عبد القادر[10]، مولاي إبراهيم عمار[11]، ومحجوب محمد[12]، والأخضر الدهمة[13]، والحاج أحمد مصطفى. وأما المناضل لعمى الشيخ[14]، فكان حينها العضو النشط الذي كان بمثابة همزة وصل بين خلية متليلي وخلية غرداية[15]، وخاصة جماعة بلدة ضاية بن ضحوة التي كانت تابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية (M.T.L.D) بقيادة المناضل بوحميدة محمد بن عمر[16]، وكانت تضم نخبة من المناضلين،

لحزب الشعب الجزائري PPA بمتليلي 1938م من أجل تعبئة السكان وبث الوعي الوطني في المنطقة.

10 - من مواليد سنة 1900م بمتليلي، كان والده من أنصار مقاومة الشيخ بوعمامة، ويعتبر كذلك من أقطاب الحركة الوطنية بمتليلي في حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية MTLD، كما ساهم في الثورة التحريرية كزعيم روحي لها في المنطقة ومرشد توفي بتاريخ 20 أوت 1994.

11 - من مواليد متليلي، ومن تلاميذ الشيخ محمد الأخضر الفيلالي الذي أسس مدرسة إصلاحية في غرداية 1940م تخرج منها العديد من سكان المنطقة المالكية.

12 - من مواليد متليلي سنة 1929م ومن أسرة محافظة التحق بمدرسة الشيخ الفيلالي سنة 1946م سافر إلى تونس جامع الزيتونة رفقة مجموعة من أبناء متليلي، التحق بالثورة التحريرية، توفي سنة 1964م.

13 - من مواليد سنة 1925م، حفظ القرآن الكريم بالمسجد العتيق انتقل إلى مدرسة الشيخ الأخضر الفيلالي بعد افتتاحها. وفي أكتوبر 1946م سافر إلى تونس لتزود بالعلم من جامع الزيتونة عاد إلى أرض الوطن سنة 1950م واستقر بمسقط رأسه وزاول العمل الإصلاحي حتى ضايقه الاستعمار أين سافر إلى العاصمة الجزائر ثم مدينة عين بسام. ومع اندلاع الثورة كان من أهم الداعين والمرشدين لها في المساجد والمناسبات له العديد من المؤلفات في علوم التفسير حفظ الله شيخنا الجليل.

14 - من مواليد سنة 1915م وهو أحد المناضلين الرواد في الحركة الوطنية بمتليلي وغرداية، شارك في المؤتمر التأسيسي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية MTLD فيفري 1947م بالعاصمة، عين مسؤول عن قسمة الحركة بغرداية، توفي سنة 1986م.

15 - مقابلة مع الشيخ الأخضر الدهمة في مكتبه بمدينة متليلي الشعانبة، بتاريخ 2010/12/18م.

16 -من مواليد سنة 1914م بحي الحفرة بغرداية، ومن مؤسسي الحركة الإصلاحية في غرداية، ومن تلاميذ الشيخ الأخضر الفيلالي، انضم مع اندلاع الثورة إلى تنظيم سي زيان

نذكر منهم: أولاد إبراهيم أحمد، وبوحميدة مسعود بن عمر، وعبد الهادي الطيب، وأولاد قويدر إبراهيم، وزرباني عمران، ومتاس ميلود، ولشهب محمد... الخ، وهذه المجموعة كانت تقوم بتنسيق العمل وتبادل الأخبار ونشر الوعي الوطني بالتعاون مع خلية متليلي السالفة الذكر.

كما كان للمناضل الشيخ لعمى اتصالات بقيادة الحزب بالجزائر العاصمة، وخاصة بعد تأسيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية (M.T.L.D) بتاريخ 02 نوفمبر 1946 برئاسة مصالي الحاج، وهذا الحزب هو الواجهة العلنية لحزب الشعب[17]. وقد تقرر عقد مؤتمر يضم إطارات الحزب يومي 15 و16 فيفري 1947. واجتمع القادة في يوم 15 ببوزريعة وفي يوم 16 ببلكور لأسباب أمنية، وقد هاجم التيار المتحمس قيادة الحزب واللجنة المركزية لإنشائها حزبا شرعيا دون استشارة المناضلين، وأخيرا انتهى المؤتمر بتوصيات توفق بين التيارات. وحضر المؤتمر ممثلون عن قسمتي غرداية والمنيعة، وهم[18]: الشيخ لعمى، ومحمد عبد العزيز، والطالب حمى بلحاج[19] وأمّا القرار الذي أرضى ، فكان كما يلي:

- الإبقاء على حزب الشعب الجزائري في إطاره السّري القديم، للعمل على توسيع القاعدة الحزبية، ونشر الفكرة النضالية الاستقلالية.

1956م؛ اعتقل ثم تعرض للنفي إلى الشمال، وبعد الاستقلال مارس العمل ناظر للشؤون الدينية في البليدة توفي سنة 1965م. أحمد أولاد سعيد: الأستاذ محمد بن عمر بوحميدة وجهوده الوطنية ورسالته من براقي إلى أهل غرداية أنموذجا، في المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 03، العدد 06، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر 2017م، ص ص 242 -257.

17 - أبو القاسم سعد الله: خلاصة تاريخ الجزائر -المقاومة والتحرير 1830 -1962، ط1، دار الغرب الإسلامي،2007م،141. محمد الصالح: الحركات التحررية المغاربية – أشكال الكفاح السياسي والمسلح (1942 -1956)، ط1، أفريقيا الشرق -الدار البيضاء المغرب،2017م، ص89.

18 - محمد جبريط: على مدارج النضال والثورة؛ خطوات وذكريات 1947 -1964، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر متليلي – غرداية، الجزائر 2015م، ص44.

19 - من مناضلي الحركة الوطنية في المنيعة، كان يمثل رئيس الفرع لدى حركة انتصار الحريات الديمقراطية في المنطقة.

- متابعة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بمظهرها الشرعي، وإطارها القانوني لمساعيها ونشاطها في الأوساط الرسمية والشعبية لتوعية الجماهير بصفة عامة، وللتخفيف من المشاكل اليومية التي تواجه المواطنين في حياتهم اليومية لدى الإدارة الفرنسية.

- إنشاء منظمة شبه عسكرية سرية، عرفت فيما بعد "بالمنظمة الخاصة"، أو "المنظمة السرية" (OS) تتولى الإعداد والتعبئة للعمل الثوري.

وعوض أن يتصدع الحزب من جراء الانتقادات التي وّجهت إلى قيادته، سكنت المشاحنات بمجرد صدور قراره الخاص بالمنظمة الخاصة التي عيّن على رأسها محمد بلوزداد(ت1952م). وتشكلت فيما بعد فروع للحركة في المنطقة؛ فرع غرداية بقيادة محمد عبد العزيز والشيخ لعمى، وفرع المنيعة بقيادة الطالب حمة بلحاج وبوعمامة بوخشبة، وفرع متليلي بقيادة الحاج مصطفى بن مصطفى وعبد القادر الوذان ومسعود بن ولهة[20].

واتخذت الخلية السياسية من القصر القديم في متليلي مقرا رئيسيا لها؛ تعقد فيه اجتماعاتها الدورية، وتناقش المستجدات على الصعيد المحلي والوطني، وتقوم بترتيب برنامج العمل التعبوي،من خلال نشر الوعي والحس الوطني وتحذير سكان متليلي من أساليب السياسة الاستعمارية القائمة على فكرة فرق تسد؛ بإشعال النعرات العصبية والقبلية بين سكان المدينة، ولهذا واجهت الخلية الوطنية السالفة الذكر تحديات كبيرة من أجل لم الشمل وتوحيد الكلمة والصف وتوجيه طاقات المجتمع ضد المحتل الأجنبي، ويرجع الفضل للخلية في نشر الوعي الوطني باستغلال المناسبات والتجمعات والأسواق لبث أفكارها الوطنية.

وتعتبر منطقة متليلي، من أهم المناطق في الجنوب التي اهتمت بجمع السلاح وإخفائه وتخزينه، حيث تكونت شبكة مختصة في تجارة السلاح بالتنسيق مع بعض التجار من واد سوف[21]، حيث ينقل السلاح من التراب الليبي إلى أرض الوطن عبر مسالك صحراوية صعبة الاختراق لا يعرفها إلا البعض من سكان

20 - محمد جبريط: المصدر السابق، ص44.

21 - محمد عبد الحليم بيشي: تطور الثورة الجزائرية بغرداية، مذكرة ماجستير في تاريخ الثورة، تحت إشراف د/حباسي شاوش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، ص33.

الشعانبة، وهي أسلحة من بقايا الحرب العالمية الثانية 1939 -1945م، هذا ما يفسر كثرة حاملي السلاح في منطقة متليلي ما بين 1946 -1953م، حيث عرفت منطقة الشبكة حركة شبه مسلحة ضد سلطة الاحتلال سنة 1943م،وهي محاولة قام بها كلا من الثائرين ابن عيسى علي وبن بيدة بشير[22] أربكت وأزعجت إدارة الاحتلال في شكل انتفاضة ضد التجنيد الإجباري[23]. وفي هذا السياق يروي المجاهد بن منصور أن بعض الجنود المجندين في الجيش الفرنسي خططوا لحركة مسلحة في حدود سنة 1943م، من بينهم عبد القادر بوجمعة رفقة حوالي اثنا عشر (12) جنديا، أغلبهم من الشعانبة واثنان(02) من الطوارق. وقد وقعت هذه الانتفاضة المسلحة في الجنوب الشرقي بين مدينتي إليزي وجانت، حيث قاموا بقتل الضابط الفرنسي المسؤول عنهم ونجحوا في تهريب كميات معتبرة من الأسلحة والذخيرة من الجيش الفرنسي، لكن قلّة التخطيط وانعدام التنظيم أفشل المحاولة بعد أن طوق الجيش الفرنسي المنطقة بكاملها وانتهت العملية باستشهاد البعض من الجنود وفرار البعض الآخر للتراب الليبي.

وصل عدد الذين يحملون السلاح في ناحية متليلي في منتصف الأربعينيات إلى حوالي 150 مناضلا، هذا الاستعداد العسكري أفرزته أحداث الثامن ماي 1945 المجازر الرهيبة التي راح ضحيتها الآلاف من الجزائريين الأبرياء في الشمال الشرقي (قالمة ، سطيف ، خراطة) فكان لها صدى في المنطقة حيث أصبح المواطنين أكثر كرها للاستعمار و استعدادا أكبر للعمل المسلح عندما تحين الفرصة، هذا بتوازي مع ما يجري في الشمال من اعداد للكفاح من خلال المنظمة السرية[24] (O.S)الجناح العسكري لحركة انتصار الحريات الديمقراطية

22 - من سكان متليلي الشعانبة قاموا بانتفاضة شبه مسلحة مع بداية 1943م ضد التجنيد الإجباري الذي تمّ فرضه على السكان في الحربين العالميتين.

23 - تقرير حول أحداث الثورة التحريرية بولاية غرداية للفترة ما بين 1959 -1962م. المصادق عليه في الندوة الولائية الثالثة بتاريخ 09 أكتوبر 1986. محمد جبريط: المصدر السابق، ص ص 46، -48.

24 - تأسّست في المؤتمر الأول لحركة انتصار الحريات الديمقراطية 15 -16 فيفري 1947م ؛كجناح عسكري للحركة من أجل الإعداد للعمل المسلح، بعد الاقتناع بفشل العمل السياسي وعقمه، كان على رأسها محمد بلوزداد.

(M.T.L.D)، حيث وقع شبه توافق وتواصل بين أهداف المنظمة الخاصة (O.S) ومناضلين في المنطقة.

وبتطبيق محتوى المادة رقم50 من الدستور الخاص، الذي صدر في 20سبتمبر 1947م، والذي ألغي بموجبها الحكم العسكري في الجنوب ؛ وما نتج عن ذلك من انفتاح وانفراج في العمل السياسي، بعد إعادة بناء الحركة الوطنية الجزائرية من جديد وإطلاق سراح القادة السياسيين، تمكّنت بعد ذلك أحزاب الحركة الوطنية من الوصول للجنوب والانتشار في المنطقة عن طريق مناضلين من الجماعتين المالكية والإباضية، ووُجد لهما أتباع كُثر في حزب الاتحاد الديمقراطي لأحباب البيان بزعامة فرحات عباس، وعلى رأسهم الشيخ إبراهيم بيوض، الذي تمّ انتخابه في المجلس الجزائري مرتين في دورة 20 أفريل 1948م ودورة سنة 1951م[25] وكذا الحزب الشيوعي الجزائري كان له بعض الأتباع من الاباضية ينشطون في النقابات العمالية. ويبقى النصيب الأكبر للمالكية العرب ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب الجزائري(P.P.A) المنحل وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، التي أصبحت تتمتع بنشاط واسع منذ سنة 1947م، حيث تولى المناضل أحمد شناف منصب المسؤول للحركة والمناضل محمد عبد العزيز[26] مسؤول الكشافة الذي كان يلقي الدروس الوطنية على المناضلين.

بالإضافة لنشاط الشيخ لعمى، الذي سعى بكل همة ونشاط لنشر أفكار حركة الانتصار بين أبناء مدينة متليلي؛ رفقة المناضل سي المصطفى السابق الذكر، كما تأسس بغرداية فرع للكشافة الإسلامية المالكية في حدود سنة 1948م برئاسة علي بن دقمان الذي كان يعمل في نفس الاتجاه.

25 - إبراهيم بن عمر بيوض: أعمالي في الثورة، جمعية التراث بالقرارة، مطبعة الزيتونة، باتنة،1990م، ص60.

26 - مناضل من الأغواط، كان ينشط ضمن حركة انتصار الحريات ومسؤول الكشافة في غرداية، مارس الدعاية للحركة بين أبناء المنطقة.

وتوّج هذا النشاط والحراك السياسي في المنطقة بتأطير حوالي ثلاثمائة مناضل (300)؛ يتزعمهم المجاهد جبريط محمد[27]، والشيخ لعمى ، وبن ولهة عبد الله، وبن ولهة مسعود، وسي المصطفى، والمجاهد مولاي إبراهيم محمد المدعو السياسي، الذي انتقل للعاصمة من أجل لقمة العيش والعمل، حيث أدى اليمين وتعهد بالقسم أمام المسؤول الوطني بوسجة رابح في حي القصبة بالعاصمة في مارس 1953. وهناك زاول هذا الأخير نشاطه مع الخلية السرية بالقصبة، حيث جلب العديد من الذين يثق فيهم من أبناء الشعانبة الذين كانوا يزاولون العمل هناك إلى التنظيم السري الثوري، نذكر منهم: يحيى بغداد، ويحيى دربالي، والعربي بن عبد الله، وإبراهيم بن الهاشمي، وبن عبد الرحمان عبد الله، والشريف علي، وكلهم من أبناء متليلي.

وكانت الجرائد الجزائرية والإسلامية تصل المنطقة، حيث كان رواد الوطنية يجتمعون لقراءتها، وبرز في متليلي ناديان: نادي للأرستقراطيين، يمثله السي مصطفى بن المصطفى، والثاني للشباب والعمال يمثله عبد القادر الوذان، حيث كان يتم في مناقشة المستجدات السياسية بالمنطقة وخارجها وخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها[28].

وبفضل انتشار الوعي الوطني الذي عرفته مدينة متليلي في تلك الفترة، جعل إدارة الاحتلال تقدم على قرار فصل إدارة متليلي عن بلدية غرداية وإلحاقها ببلدية الجلفة[29]. وكان الهدف من وراء هذا القرار هو محاصرة المد الوطني في غرداية، لهذا انفتح نشاط الخلايا الوطنية نحو الجنوب الغربي أدرار،

27 - من مواليد سنة 1933م بمتليلي الشعانبة ولاية غرداية، حفظ القرآن وتلقى مبادئ العربية بمسجد العتيق بمتليلي، انضم مبكرا وعمره لا يتجاوز 16 سنة في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وناضل في صفوفه، شارك في التحضيرات الأولية للثورة في الناحية، وكلّف بالإشراف على منطقة غرداية سنة 1959م، وبعد الاستقلال شارك في الحياة السياسية كمحافظ للحزب وتقلد العديد من المهام والمسؤوليات.

28 - محمد جبريط: تاريخ الحركة الوطنية بمتليلي، محاضرة ألقاها المجاهد بتاريخ 16 -08 -1994، نقلا عن: محمد عبد الحليم بيشي: تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص76.

29 - الحاج سعيد يوسف بن بكير: تاريخ بني ميزاب، ط2، مطبعة غرداية الجزائر،2006، ص211.

بشار، تيميمون لتكوين خلايا هناك. ومن أهم النشطين في نشر وتوسيع دائرة الوعي الوطني هناك الشهيد الحاج علال بن بيتور 1912 -1957 الذي سافر إلى الجنوب الغربي للعمل في هذا السياق، كما اشترك في جريدة البصائر لسان حال جمعية علماء المسلمين الجزائريين، واتصل برائد الاصلاح والنهضة ابن باديس عبد الحميد ومبارك الميلي، وأقام علاقات سياسية مع الزعيم مصالي الحاج، حيث انضم لحركة انتصار الحريات الديمقراطية واشترى سلاحه بماله الخاص، وتعرض للسجن مدة سنتين، وأطلق سراحه فيما بعد، والتحق بالثورة مع اندلاعها.

وكان للمناضل الحاج بوديسة الصالح دور بارز في الحركة الوطنية، حيث انخرط مبكرا في صفوف حزب الشعب الجزائري (P.P.A) وحركة انتصار الحريات الديمقراطية تقلد عدّة مناصب سياسية في الشمال، ومن أبرز أعماله النضالية ما حدث في محكمة البليدة سنة 1951م؛ على إثر محاكمة أعضاء المنظمة الخاصة (O.S) بعد اكتشاف أمرها، حيث كان رفقة قادة المنظمة الخاصة في السجن. وبعد إطلاق سراحه اقترح على قادة الحزب فكرة تهريب قادة المنظمة الخاصة من سجن البليدة أحمد بن بلة وأحمد محساس، لكن اقتراحه قوبل برفض من طرف القيادة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، وهذا ما جعله يتحمل عبء تهريب زملاءه لوحده و قام بتنسيق عملية الفرار مع المناضلين أحمد بن بلة و احمد محساس في ماي 1952م، حيث فر الجميع فيما بعد إلى خارج الوطن. وعندما اشتدت حدة الأزمة في بداية سنة 1954م داخل الحزب بين المصاليين والمركزيين، قام المناضل بوديسة الصالح رفقة القادة أحمد محساس، وبلقاسم راجف بتوزيع أهم منشور عرف بنداء التعقل يحث القاعدة من حزب حركة الانتصار أن يلتزموا الحياد الايجابي.

وقبيل اندلاع الثورة التحريرية، كان البعض من أبناء الشعانبة ضمن صفوف جيش تحرير المغرب العربي بتونس على الحدود الجزائرية تحت قيادة الجيلالي بن عمر، وقبل هذه الفترة بقليل قام سي الحواس وبشير شيهاني؛ رفقة أحد أبناء المنطقة المدعو حوتية الجيلالي؛ بزيارة لشيخ الزاوية القادرية بورقلة، وهذا قصد الأعداد لانطلاق الثورة التي كانت على الأبواب.

4 - مظاهر نشاط الحركة الإصلاحية بالمنطقة:

تمكّن الاتجاه الإصلاحي أن يجد مكانا له في المنطقة، من خلال انخراط العديد من سكان في جمعية علماء المسلمين الجزائريين. وأصبحت القضايا الوطنية التي تناقش في الصحف تجد لها صدى في النوادي والمجالس الخاصة في متليلي، ومن أهم أعضاء الاتجاه الاصلاحي، نذكر: الحاج أحمد مصطفى 1895 -1984م، الذي يعتبر من أوائل المنخرطين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على مستوى الجنوب الجزائري، بحيث ركّز عمله في الجانب التعليمي والتربوي لأبناء المنطقة وغرس الحس الوطني لديهم؛ فمنذ سنة 1938م بدأ في توسيع نطاق التعليم، رغم قلة الإمكانيات ومراقبة الحكم العسكري[30]، فلقد كان يتتبع آثار أبناء الرُّحل في الصحراء؛ قصد تعليمهم القرآن الكريم و سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم ، كما وقف في وجه موجة التنصير التي اجتاحت المنطقة بكل حزم، واستطاع أن يعزل النشاط التبشيري ويكشف نواياه، إلى جانب مهنة التعليم مارس الشيخ وظيفة القضاء في الفترة الممتدة ما بين 1933 - 1936م. ولكن لم يستمر بسبب المضايقات الاستعمارية. وتمكّن بفضل جهوده المخلصة من أن يتخرج على يديه العديد من المشايخ والأساتذة ، كما أسّس مسجدا بورقلة سنة 1954. كما وقف إلى جانب الشيخ الحاج مصطفى مجموعة من المصلحين من أبناء المنطقة، ساهموا في إرساء تعاليم الدين الإسلامي ومبادئ ومقاصد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أمثال الشيخ محجوب عبد الرحمان(1880 -1976م) خريج جامع الزيتونة، والذي تتلمذ من قبل ذلك بزاوية الهامل في مدينة بوسعادة، وعند رجوعه اهتم بتعليم أبناء متليلي اللغة العربية والقرآن الكريم ، كما اشغل منصب القضاء بطلب من سلطة الاحتلال سنة 1925م، حيث كان يسجل مختلف العقود من زواج و طلاق و قضايا البيع و الشراء بمقره الموجود بالقصر القديم في متليلي، وكان كل يوم خميس من الأسبوع يذهب إلى مدينة غرداية لتسجيل هذه العقود في المحكمة، بالإضافة لدور الشيخ الشريف بكار (1915 -2001)، الذي تميز بين أقرانه بحدّة الذكاء وسرعة الفهم، حيث تولى الإفتاء في متليلي على

30 - عبد العزيز مصطفى: شخصيات لها تاريخ الشاعر الحاج أحمد مصطفى(1895 - 1984) (د -ر -ط ومكان طبع،2001)، ص 07.

المذهب المالكي،كما كان له نشاط سياسي بانخراطه في صفوف الحركة الوطنية مبكرا، وخاصة الخلية التي كان يقودها سي المصطفى، بحيث انضم إلى الثورة التحريرية مع اندلاعها. وكان ضمن مجلس أعضاء الثورة، ويضاف إلى ذلك دور الشيخ محجوب محمد (1929 -1964) من أسرة محافظة تتلمذ على يد الشيخ الأخضر الفيلالي موفد الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين للمنطقة، رحل الشيخ محجوب إلى تونس لإتمام تعليمه بالجامع الزيتونة، ثم رجع إلى أرض الوطن واستقر به المقام في البداية بالجزائر العاصمة بحي بلكور، حيث مارس مهنة التعليم في مدارس جمعية العلماء بطلب من الشيخ الطيب العقبي إلى غاية 1953م. وفي سنة 1954م رجع إلى متليلي وبدأ ينشط مع مجموعة من الشبان في تأليف الأناشيد و المحفوظات الوطنية للتحريض ضد الاستعمار،كما عمل كصحفي يكتب المناشير ويوزّعها على المواطنين مجانا، والتي كانت تنقل أخبار ما يجري على أرض الوطن، كما انضم إلى الثورة فيما بعد[31].

وفي هذا السياق، يظهر دور الشيخ الأخضر الدهمة، الذي تتلمذ بالمسجد العتيق في متليلي، ثم انتقل إلى مدينة غرداية، حيث زاول دراسته على يد الشيخ محمد الفيلالي ما بين 1942 -1945. وفي سنة 1946 سافر إلى تونس بتشجيع من شيخه الفيلالي لإتمام دراساته بجامع الزيتونة ما بين (1946 -1950). رجع إلى أرض الوطن و استقر به المقام في البداية بمدينة عين بسام بضواحي تبسة مدرسا ما بين (1950 -1957)، ثم انتقل إلى مدينة غرداية بعد مضايقات سلطة الاحتلال، حيث ركّز على الجانب التعليمي و تنشيط الحركة الفكرية بين سكان المنطقة، بالإضافة لدوره السياسي ضمن خلايا حركة انتصار الحريات الديمقراطية قبل اندلاع الثورة رفقة سي المصطفى، والودان عبد القادر، كما أدّى كلا من الشيخ سي عبد السلام مولاي لخضر (1926 -2010)، والشيخ الحاج محمد بوقلمونة (1910 -2008) نفس الدور في نشر الوعي الوطني؛ وفق منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

31 - مقابلة أجراها الباحث مع اللجنة الدينية للمسجد العتيق بمتليلي الشعانبة بتاريخ 2010/12/18م.

ويرجع الفضل في ازهار الحركة العلمية والإصلاحية في المنطقة إلى الشيخ محمد الأخضر الفيلالي المولود بخنقة سيدي ناجي بطولقة بسكرة (1906 -1977)، وبطلب من الإخوة عمراني علي و زرباني بوبكر من ضاية بن ضحوة، انتقل الشيخ الفيلالي من مدينة آفلو بالأغواط، التي كان يقضي بها رفقة العلامة البشير الإبراهيمي حكم بالإقامة الجبرية إلى مدينة غرداية[32]، حيث تم افتتاح مدرسة للتعليم العربي الحر في حدود سنة 1940م بمدينة غرداية، تحت إشراف الشيخ الفيلالي، وتشكلت حلقات علمية حسب مستوى الطلبة وازدهرت الحركة العلمية .كما قام الشيخ الفيلالي بمجهود لتقريب بين أنصار المذهب المالكي (العرب) والمذهب الاباضي (ميزاب)، واستغل حلقات العلم لبث أفكاره الوطنية و السياسية بين طلبته و زرع كراهية الاستعمار في نفوس الطلبة ، ذاع صيت الشيخ الفيلالي فتوافد عليه الطلبة من جميع مدن المنطقة متليلي،بريان، القرارة، وتوسعت حركته العلمية، مما لفت انتباه سلطة الاحتلال التي أصبحت تراقب نشاطه عن كثب، وانتهى الأمر بإغلاق المدرسة ونفي الشيخ الفيلالي إلى ضواحي العاصمة البليدة، حيث ترك كوكبة من تلاميذه يعملون في نفس الاتجاه، أمثال: بوحميدة محمد، والإمام الحشاني الجيلالي، والشيخ الأخضر الدهمة، ومولاي إبراهيم عمار، وبوعبدلي علي، وغزيل قدور، وقباني حمودي.

وكان للنضال السياسي الوطني لأبناء الشعانبة الدور الكبير في النجاح الذي تحصّل عليه مرشح الحركة الوطنية في الانتخابات النيابية التي أجريت بتاريخ 04 أفريل 1948، بعد إلحاق مدينة متليلي والمنيعة بدائرة الجلفة نهاية سنة 1947، هذا الابعاد المفاجئ والتعسفي عن دائرة غرداية أعتبر تخوفا فرنسيا من انتشار الفكر الوطني والثوري بالناحية، وهي محاولة من سلطة الاحتلال لمحاصرة هذا المد الوطني، حيث اعتبرت إدارة الاحتلال متليلي معقلا رئيسيا لنشاط الحركة الوطنية.

32 - أحمد أولاد سعيد: علماء مسجد خالد بن الوليد بمدينة غرداية ودورهم الريادي في العلم والوطنية، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد05، تصدر عن المركز الجامعي بغرداية، الجزائر ص98 -101

ويعود الفضل لسكان متليلي في تأسيس خلايا للحزب في الجنوب، إلى جانب ذلك تواجدت بالعاصمة كوكبة من أبناء متليلي كانوا يعملون ضمن خلايا حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية (M.T.L.D)، وكانوا بمثابة همزة وصل بين قيادة الحزب ومسقط رأسهم، كما أقام الشعانبة خلية سرية لهم في مدينة وهران سنة 1952م، من أهم أعضائها العابد الجيلالي، مصطفى قربوز، هذا النشاط جعل إدارة الاحتلال تتخذ إجراءات تعسفية في حق سكان مدينة متليلي تمثلت في الآتي:

- تزايد قوات العدو بهدف مراقبة تحركات المناضلين.
- القيام بحملات تفتيشية واسعة داخل المدينة بحثا عن المناضلين والقدماء النشطين في العمل الإصلاحي والسياسي.
- تسليط العقوبات الجزافية على كل من يكون محل تهمة كالإبعاد المؤقت والنفي.
- نهب ممتلكات رؤوس الماشية وغلال النخيل[33].

رغم كل هذا التضييق والممارسات القمعية، بقيت جذوة النضال والعمل الوطني متأصلة في أبناء المنطقة، وهو ما يجعل سكان متليلي في حالة استنفار للعمل العسكري مع اندلاع الثورة التحريرية.

ويلاحظ أنه وقع تكامل وتعاون بين النشاط الإصلاحي والجانب السياسي في المنطقة، وهما في الحقيقة شقي الحركة الوطنية التي تحتاج للكثير من البحث والدراسة، وخاصة في هذه الفترة مجال البحث؛ كون الوثائق والشهادات قليلة ونادرة مقارنة بفترة العمل المسلح في الثورة التحريرية. وتعتبر فترة نشاط الحركة الوطنية الحلقة المفقودة في مسلسل كفاح سكان الشعانبة بالمنطقة، ولعل هذا الفراغ لا يفسّر حجم المنخرطين في الثورة التحريرية نوفمبر 1954م؛ فحجم المنخرطين يعكس حالة التشبع والاقتناع بضرورة الكفاح المسلح.

5 - التحضيرات للعمل المسلح بناحية غرداية قبيل اندلاع الثورة.

مع اكتشاف المنظمة الخاصة (O.S) بتاريخ 18 مارس 1950، بسبب حادثة تبسة الشهيرة توقف النشاط الإعدادي للعمل المسلح في الناحية، تم اعتقال

33 - عبد الحميد مسعود بن ولهة، الحركة الوطنية والثورة التحريرية بناحية غرداية إداريا و تنظيميا، ط1، دار صبحي للطباعة و النشر، متليلي2013، ص67.

العديد من المناضلين، أمثال: الحاج علال بن بيتور[34]، وجبريط محمد، والحاج اعمر ابراهيم بلعيد[35] من متليلي، وبوخشبة بوعمامة بالمنيعة، وبذلك تعرض التنظيم السري بالناحية لضربة قاسية مثل ما وقع في باقي المناطق الشمالية، لكن رغم ذلك بقي النشاط السياسي مستمر في السرية التامة، وما لبث أن أعادت الخلايا ربط الاتصال بالجهات الشمالية والجنوبية في شهر أفريل سنة 1953م.

وقد عرفت قيادة اللجنة المركزية لحزب الشعب التي أصبحت تسمى بحركة انتصار الحريات الديمقراطية أزمة داخلية حادة مسّت قاعدتها الشعبية، وأدت إلى انقسام الحزب في خريف سنة 1953م[36]، وانتهت بها إلى التمزق والتفكك الداخلي في المناطق الشمالية. ورغم ذلك عرفت الحركة في الجنوب عملية الانتشار والتوسع، حيث تشكلت الخلايا التنظيمية، فتأسست خلية متليلي بقيادة مصطفى مصطفى، وعبد القادر الوذان، وعبد الله بن ولهة[37] كما عرفت مدينة غرداية نشاطا في نفس الاتجاه بتشكل خلايا حسب الأحياء، فكان كل من بوحميدة محمد، ومحمد جبريط، وحوتية الجيلالي[38] تربغرداية،

34 -الحاج علال بن بيتور، ولد سنة 1912 بمتليلي، انخرط في صفوف حركة الانتصار M.T.L.D، ناضل في سبيل بث الوعي الوطني في الجنوب الغربي للجزائر، في كل من: بشار ادرار تيميمون، استشهد سنة 1958، حيث ألقي به من طائرة حربية بعد أن تعرض لأشد أنواع التعذيب.

35 - الحاج عمر ابراهيم بلعيد، من أعيان مدينة متليلي، تعرض للاعتقال مع بعض المناضلين بمتليلي؛ إثر اكتشاف المنظمة الخاصة(O.S) .

36 - عبد الوهاب بن خليف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط1، دار طليطلة، الجزائر2009، ص180.

37 - عبد الله بن ولهة: مولد في سنة 1930 بمتليلي انظم الى حزب الشعب P.P.A شارك في الاعداد للثورة بالناحية تخصص في صناعة المتفجرات، اعتقل في جويلية 1960 حيث حكم عليه بالإعدام و بقي بالسجن الى ماي 1962.

38 - الجيلالي حوتية: مولد خلال 1919 بمتليلي انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني من رواد الحركة الوطنية كانت له اتصالات مع القادة سي الحواس وزيان عاشور لتنظيم العمل المسلح في الجنوب بصفة عامة.

وبالعطف لخضر رزاق ومحمد الهامل، وقد أشرف على القسمة آنذاك، الحاج عمر إبراهيم، وبن ولهة مسعود[39].

وتعود جذور هذه الفروع والخلايا الثورية إلى سنة 1947م، وهو تاريخ تأسيس المنظمة الخاصة (O.S) ، حيث اتصل بعض أعضائها مبكرا بالمنطقة بمتليلي، أمثال محمد عبد العزيز، وعمر بن محجوب[40]، وتمّ تكليف المناضل عرابي الحاج[41] المدعو لاجودان مختار بالبحث عن المخابئ وأماكن التدريب بشبكة متليلي سنة 1949.

وفي الجولة الاستطلاعية الثانية بالمنطقة، والتي قام بها أحمد عبد الرزاق المدعو سي الحواس[42] في حدود سنة 1952 تمّ اختيار مركز واد الطويل بالمنصور ومنطقة افران كأماكن للتموين والتخزين ومخابئ ومراكز للمناضلين، كما ألح سي الحواس على إبقاء ناحية الشبكة كقاعدة خلفية لدعم اللوجستي للمناطق الشمالية، وذلك لصعوبة العمل المسلح المباشر بسبب ندرة الغطاء النباتي وتباعد المراكز وقسوة المناخ.

39 - مسعود بن ولهة: من مواليد سنة 1906 بمتليلي أحد مؤسسي نواة العمل السياسي بالجنوب، شارك في مؤتمر المصاليين في هورنو ببلجيكا في جويلية 1954 ممثلا لقسمة غارداية، كان على اتصال سي زيان عاشور مع اندلاع الثورة التحريرية، كما كانت له اتصالات مع قيادة منطقة البيض سنة 1956 مولاي ابراهيم عبد الوهاب.

40 - عمر بن محجوب: عاصمي من العناصر الفاعلة في المنظمة الخاصة (O.S) كانت له اتصالات بالجنوب، وخاصة مدينة متليلي، في إطار التحضير للعمل المسلح مع اندلاع الثورة التحريرية.

41 - عرابي الحاج (لاجودان مختار): من مواليد عين الصفراء انضم في البداية الى الجيش الفرنسي، ثم فر منه ليلتحق وينضم إلى الحركة الانتصارM.T.L.D سنة 1947، وأصبح عضو في المنظمة الخاصة مكلف بمنظمة الجنوب، نظرا لتكوينه العسكري كلّفه مصطفى بن بولعيد بزرع النظام الثوري بالجنوب.

42 - أحمد عبد الرزاق المدعو (سي الحواس): أحد قادة العمل السياسي والعسكري في الثورة التحريرية، قائد الولاية السادسة سنة 1958، استشهد رفقة العقيد عميروش في نواحي بجبل ثامر في 29 مارس 1959.

وفي إطار ربط اتصالات الناحية من جديد بالمناطق الشمالية والجنوبية اتجه المناضل كديد البشير[43] نحو الجزائر العاصمة . و يذكر المجاهد مولاي ابراهيم محمد [44] المدعو السياسي أنه أدى اليمين وتعهد بالقسم في مارس 1953 أمام المسؤول عن النشاط الثوري بالعاصمة في ناحية القصبة السيد بوسجة رابح، كما التحق المناضل أقاسم عبد العزيز وإسماعيل أحمد وبن خليفة بحوص بناحية بشار لنفس الغرض، وكذا نشاط المناضل بريهمات المدعو قنبار محمد في جلب وشراء السلاح من ليبيا وجاء بمئات القطع إلى متليلي في أواخر سنة 1954، ونشط في نفس السياق كل من بهاز محمد بن جلول (الضابط) وكتيلة عبد القادر، وبلعور مختار، وذلك بربط الاتصال بين منطقة متليلي والناحية الشرقية الأوراس.

وتعززت الاتصالات بين منطقة متليلي والجزائر العاصمة؛ على إثر إبعاد المناضل مولاي عمار ابراهيم من مدينة متليلي؛ بسبب تشكيله لفوج من الطلبة بالمسجد العتيق لتعليمهم اللغة العربية والذي وجد معارضة من طرف الحاكم الفرنسي وقايد البلدة آنذاك من سنة 1948، حيث التحق بالعاصمة وأشرف فيما بعد على تكوين الخلايا السرية الفدائية هناك وربط هذا التنظيم بمنطقة متليلي من خلال المناضلين لغريبي العربي، مولاي ابراهيم محمد (المدعو السياسي)، وجبريط محمد.

كما وصل مبعوث منطقة الأوراس المناضل الحاج العرابي المدعو لاجودان إلى المنطقة متليلي والمنيعة عدّة مرات، الأولى كانت في سنة 1949م، والثانية في شهر أوت 1954م، والثالثة قبيل اندلاع الثورة التحريرية في شهر أكتوبر 1954[45]،

43 - كديد البشير: من مواليد 1910 بمتليلي، انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري P.P.A مبكرا وناضل في خلايا المنظمة الخاصة في الجزائر العاصمة والمنطقة، استشهد بعد التعذيب في السجن بغرداية في أواخر سنة 1958.

44 - مولاي ابراهيم محمد المدعو السياسي المولود بمتليلي 1930 مناضل سياسي وإصلاحي، سافر إلى الجزائر العاصمة للعمل في التجارة سنة 1950، شارك في تفعيل إضراب الثمانية أيام سنة 1957، نشط في المجالس البلدية للثورة بمتليلي، وتوفي يوم 20 جانفي 2012 رحمه الله.

45 - عبد القادر ماجن: من وقائع الثورة بالمنيعة، في مجلة أول نوفمبر، العددان 138 -139 سنة 1992، ص 56.

هذا الأخير هو مبعوث القائد التاريخي مصطفى بن بولعيد، حيث أشرف السيد عرابي الحاج على تنظيم النواة السرية للثورة الواعدة في المنطقة، وقام بتنصيب مسؤولي الخلايا حسب المناطق في متليلي: كل من دهان محمد بن سعيد[46]، وكديد بشير، وبن ولهة عبد الله. وأشرف على غرداية الحاج عمر إبراهيم، وجبريط محمد، وبوحميدة محمد بن عمر، وفي المنيعة بوخشبة بوعمامة، ولبز عبد القادر، ويحيى الزهار[47].

وفي هذا الصدد أقدمت النواة السرية للعمل الثوري في كل من متليلي والمنيعة وغرداية، بإحصاء وجمع الأسلحة المتوفرة وجرد أسماء المتدربين على حمل السلاح، وكانت النتائج كالآتي:

- حوالي خمسمائة مناضل يعمل بالناحية.
- حوالي مائة وخمسون (150) قطعة سلاح بنادق عند أعضاء الخلايا.
- حوالي آلفي 2000 قطعة سلاح مختلفة الأنواع لدى المواطنين بالناحية.
- بالإضافة للذخيرة وكميات معتبرة من صناديق البارود والقنابل التقليدية الصنع[48].

وكان من المفروض التحاق المناضل عرابي الحاج بالناحية مع اندلاع الثورة التحريرية للإشراف، ولكن اختفائه في هذه الظروف الحاسمة أثار الشكوك من حوله.

وقد وقع التباس في تحديد هوية المشرف الحقيقي على مشروع الثورة في معظم المناطق من الوطن، وخاصة في النواحي الجنوبية لابتعادها عن مركز صنع القرار، وبسبب السرية التامة التي التزمتها القيادة مع البداية لكي يتحقق

46 - دهان محمد بن سعيد، المولود بتاريخ 1910 بمتليلي مناضل في الحركة الوطنية من أعضاء الخلية الثورية في الناحية من البداية مكلف بجمع السلاح ورئيس اللجنة الثورية، منذ سنة 1957، ثم رئيس المجلس البلدي 1173، استشهد في معركة لحوار بمنطقة متليلي، بتاريخ 02 نوفمبر 1960.

47 - يحي الزهار: مناضل في الحركة الوطنية من مدينة المنيعة شكل الخلية الأولى للثورة رفقة بوخشبة بوعمامة، كما قاد الكفاح المسلح في أقصى الجنوب عين صالح وتمنراست.

48 - المنظمة الوطنية للمجاهدين: التقرير المقدّم للندوة الجهوية لكتابة تاريخ الثورة من الفترة 1956 -1958 للولاية السادسة، المعد والمصادق عليه في الملتقى الولائي بتاريخ 25 أكتوبر 1984م، من طرف مجاهدي نواحي غرداية، متليلي، المنيعة، ص02.

المشروع، ولهذا تداخلت والتبست الأمور على مناضلي الناحية (متليلي) مع اندلاع الثورة التحريرية في تحديد المفجر الفعلي للثورة أو الجهة التي تقف ورائها، وبذلك لم تتعرف المنطقة عن اسم جبهة التحرير الوطني في البداية. ويمكن إرجاع ذلك، إلى السيطرة الكاملة لجماعة مصالي الحاج على معظم القسمات وخلايا الحزب بعد نشوب الأزمة بين المصاليين والمركزيين[49] في ربيع سنة 1953، بالإضافة إلى ما تتمتع به شخصية مصالي الحاج من تقدير واحترام بين مناضلي وسكان المنطقة.

يُضاف إلى ذلك انقطاع الاتصال غير المبرر للمبعوث الخاص واختفائه (الحاج عرابي)؛ الأمر الذي كانت له انعكاسات على المنطقة، بحيث تأخر العمل المسلح لبضعة شهور، وهذا يتنافى مع استراتيجية الثورة التي ما فتئت تركّز على ضرورة توسيع نطاق الثورة التحريرية منذ بدايتها. وأمام هذا الوضع فكّر المناضلين في ربط الاتصال من جديد بالمناطق الشمالية، وخاصة العاصمة، حيث قام المناضل عبد الهادي الطيب وبأمر من مناضلي المنطقة بالاتصال بمسؤولي العاصمة اقاوة رزقي، وموح الصغير بالقصبة. وبدأت عملية جمع السلاح ونقله على الخط الرابط غرداية الجزائر، تحت إشراف المناضل قليل خالد (سائق صهريج) على نفس الخط ، وأصبحت المناشير والأوامر التي تصدر عن جبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة تصل تباعا إلى المنطقة.

لقد عرفت منطقة متليلي بناحية غرداية عدّة زيارات لقادة المنظمة الخاصة (O.S) ومسئولين عن الاتجاه الثوري الاستقلالي وحركة الانتصار (M.T.L.D) قبيل اندلاع الثورة، وذلك لأهميتها. ومن هؤلاء، نذكر: أمثال محمد العربي دماغ العتروس، الأمين بالهادي، عبد الرحمان كيوان، أحمد بودة، مصطفى فروخي، محمد عبد العزيز، عمر بن محجوب، بلحاج منصوري محفوظ، ابراهيم البيضي[50].

49 - المركزيين الجناح المنشق عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية بعد أزمة الحركة في أفريل 1953 بقيادة المناضل بن يوسف بن خدة، التحقوا بالثورة في منتصف سنة 1955.

50- تقرير المنظمة الوطنية للمجاهدين، المرجع السابق، ص03.

وتمّ تحديد كلمة السر الخاصة بالمنطقة عشية اندلاع الثورة بكلمة حجرتان من الشرق[51]، كما شهدت المنطقة مع بداية سنة 1955 وصول العديد من الوفود، من أجل ربط الاتصال وتنسيق العمل، كمبعوث مولاي ابراهيم عبد الوهاب من منطقة البيض الأخوة زكري بوحفص، وبلغيث الحاج محمد، وكذا مبعوث لعماري الأخ ابن شاعة من منطقة أفلو، وكذا مبعوثين من العاصمة، وهما الإخوة بوجمعة قرمة ومصطفى السعودي. أما من منطقة وهران، فقد وصل كل من قربوز مصطفى، والرسيوي محمد المدعو (النميس) ومبعوث القائد الشيخ زيان عاشور، والأخ غزال الحاج سليمان، وابن زايط بوحفص، وابن عميرة قويدر وابن يوسف قوجال[52].

ويعود حضور التنظيم الثوري التابع للقائد زيان عاشور في الناحية إلى الصداقة القائمة مع مسؤولي الناحية، أمثال مسعود بن ولهة من قسمة غارداية، وبوعمامة بوخشبة من قسمة المنيعة، حيث التقى معهم على إثر عقد مؤتمر هورنو ببلجيكا بتاريخ 14 -15 جويلية 1954 الخاص بالمصاليين في سياق الصراع القائم والاصطفاف الذي عرفته حركة انتصار الحرّيات الدّيمقراطية عشية اندلاع الثورة التحريرية.

وللإشارة، فقد بلغ عدد أفراد الجيش التابع للقائد زيان عاشور حوالي ألف ومائتي 1200 جندي قبل عقد مؤتمر 20 أوت 1956[53].

وفذلكة القول، فإن روافد العمل الثوري بمنطقة متليلي، تعود بالأساس إلى أيام الثورات الشعبية التي قادها زعماء الطرق الصوفية وإلى الجهود التي قام بها رجالات الحركة الإصلاحية في عموم المنطقة.

كما ساهمت منطقة متليلي في التأسيس للعمل الثوري بأغلب مناطق أقصى الجنوب الجزائري، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مناطق تيميمون، وعين صالح، والهقار بتمنراست... الخ.

---

51 - الزبير بوشلاغم: الثورة وقضايا أخرى بناحية غرداية، مجلة أول نوفمبر، العدد 127، أفريل 1991، ص38.

52 - تقرير المنظمة الوطنية للمجاهدين، المرجع السابق، ص05.

53 - عبد القادر ماجن: التنظيم الثوري بالولاية السادسة، في مجلة أول نوفمبر، العددان 126 -127، مارس أفريل 1991.

ونخلص إلى القول، بأن منطقة متليلي كانت شبه جاهزة وفي حالة استعداد تام لخوض غمار الثورة، ويرجع الفضل في ذلك إلى استعداد أبناء المنطقة للعمل الثوري وإلى الجُهد الذي بذله الرواد الأوائل ، والمتمثل في نشر الوعي الوطني والثوري بين أبناء ناحية غرداية وخارجها، بل إن الكثير منهم من لبى نداء أول نوفمبر 1954 وحمل السلاح في وجه المحتل الفرنسي الغاشم.

المصادر والمراجع:

- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ط3، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1982.
- أولاد سعيد أحمد: الأستاذ محمد بن عمر بوحميدة وجهوده الوطنية ورسالته من براقي إلى أهل غرداية أنموذجا، في المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 03، العدد 06، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر 2017م.
- أولاد سعيد أحمد: علماء مسجد خالد بن الوليد بمدينة غرداية ودورهم الريادي في العلم والوطنية، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد05، تصدر عن المركز الجامعي بغرداية، الجزائر.
- بن خليف عبد الوهاب: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط1، دار طليطلة، الجزائر2009.
- بن ولهة عبد الحميد مسعود، الحركة الوطنية والثورة التحريرية بناحية غرداية إداريا وتنظيميا، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي2013.
- بوشلاغم الزبير: الثورة وقضايا أخرى بناحية غرداية، مجلة أول نوفمبر، العدد 127، أفريل 1991.
- بوعزيز يحيى: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996م.
- بيشي محمد عبد الحليم: تطور الثورة الجزائرية بغرداية، مذكرة ماجستير في تاريخ الثورة، تحت إشراف د/حباسي شاوش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2،
- بيشي محمد عبد الحليم: تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.
- بيوض إبراهيم بن عمر: أعمالي في الثورة، جمعية التراث بالقرارة، مطبعة الزيتونة، باتنة،1990.
- تقرير حول أحداث الثورة التحريرية بولاية غرداية للفترة ما بين 1959 -1962م. المصادق عليه في الندوة الولائية الثالثة بتاريخ 09 أكتوبر 1986.
- جبريط محمد: على مدارج النضال والثورة؛ خطوات وذكريات 1947 -1964، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر متليلي – غرداية، الجزائر 2015م.
- الحاج سعيد يوسف بن بكير: تاريخ بني ميزاب، ط2، مطبعة غرداية الجزائر،2006.

- الدهمة بكار: دور منطقة غرداية في الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية ما بين1919 - 1945م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف د/ مولاي عبد القادر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2012.
- سعد الله أبو القاسم: خلاصة تاريخ الجزائر -المقاومة والتحرير 1830 -1962، ط1، دار الغرب الإسلامي،2007م.
- الشيخ لكحل: مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين 1851 - 1908م، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي – غرداية – الجزائر 2019.
- الصافي محمد: الحركات التحررية المغاربية – أشكال الكفاح السياسي والمسلح (1942 - 1956)، ط1، أفريقيا الشرق -الدار البيضاء المغرب،2017م.
- عبد العزيز مصطفى: شخصيات لها تاريخ الشاعر الحاج أحمد مصطفى(1895 -1984) (د -ر -ط ومكان طبع،2001).
- لخضر عواريب: بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية منها الشهادة التي أملاها بوشوشة على سجانه، في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، العدد 17، ديسمبر 2014، ص ص 295 -304.
- ماجن عبد القادر: التنظيم الثوري بالولاية السادسة، في مجلة أول نوفمبر، العددان 126 - 127، مارس أفريل 1991.
- ماجن عبد القادر: من وقائع الثورة بالمنيعة، في مجلة أول نوفمبر، العددان 138 -139 سنة 1992.
- مقابلة أجراها الباحث مع اللجنة الدينية للمسجد العتيق بمتليلي الشعانبة، ولاية غرداية، بتاريخ 2010/12/18م.
- مقابلة مع الشيخ الأخضر الدهمة في مكتبه بمدينة متليلي الشعانبة، ولاية غرداية، بتاريخ 2010/12/18م.
- المنظمة الوطنية للمجاهدين: التقرير المقدّم للندوة الجهوية لكتابة تاريخ الثورة من الفترة 1956 -1958 للولاية السادسة، المعد والمصادق عليه في الملتقى الولائي بتاريخ 25 أكتوبر 1984م، من طرف مجاهدي نواحي غرداية، متليلي، المنيعة.
- مولاي إبراهيم محمد المدعو السياسي، وثيقة مخطوطة في مكتبته الخاصة بمدينة متليلي الشعانبة، ولاية غرداية.
- مياسي إبراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 -1934، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005م.
- يطو فتيحة: رسالة الرد على إلحاق وادي ميزاب والاعتراض على تعديل قانون الملكية العقارية بالجزائر للشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش -دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف د/ فيصل محمد موسى، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة النيلين2006م.